تفسير ابن كثير

يأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلّم أن يقول للناس : { إني أنا النذير المبين } البين النذارة نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام وقوله : { المقتسمين } أي المتحالفين أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم كقوله تعالى إخبارا عن قوم صالح إنهم { قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله } الاية أي نقتلهم ليلا قال مجاهد : تقاسموا وتحالفوا { وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت } { أولم تكونوا أقسمتم من قبل } الاية { أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة } فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقتسمون أصحاب صالح الذين تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : [إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبه طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق] .

وقوله : { الذين جعلوا القرآن عضين } أي جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض قال البخاري : حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أنبأنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس { جعلوا القرآن عضين } قال : هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس { جعلوا القرآن عضين } قال : هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : { جعلوا القرآن عضين } قال هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال { كما أنزلنا على المقتسمين } قال : آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارى قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس { جعلوا القرآن عضين } قال : السحر وقال عكرمة : العضه السحر بلسان قريش تقول للساحرة إنها العاضهة وقال مجاهد : عضوه أعضاء قالوا سحر وقالوا كهانة وقالوا أساطير الأولين وقال عطاء : قال بعضهم ساحر وقالوا مجنون وقال كاهن فذلك العضين وكذا روي عن الضحاك وغيره .

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا فقالوا : وأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به قال : بل أنتم قولوا لأسمع قالوا : نقول كاهن قال : ما هو بكاهن قالوا : فنقول مجنون قال : ما هو بمجنون قالوا : فنقول شاعر قال : ما هو بشاعر قالوا : فنقول ساحر قال : ما هو بساحر قالوا : فماذا نقول ؟ قال : وا إن لقوله لحلاوة فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر فتفرقوا عنه بذلك وأنزل ا فيهم { الذين جعلوا القرآن عضين } أصنافا { فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون } أولئك النفر الذين قالوا لرسول .

وقال عطية العوفي عن ابن عمر في قوله : { لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون } قال : عن لا إله إلا ا وقال عبد الرزاق : أنبأنا الثوري عن ليث هو ابن أبي سليم عن مجاهد في قوله تعالى : { لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون } قال : عن لا إله إلا ا وقد روى الترمذي وأبو يعلى الموصلي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن ليث بن أبي سليم عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبي صلى ا عليه وسلّم { فوربك لنسألنهم أجمعين } قال : عن لا إله إلا ا ورواه ابن إدريس عن ليث عن بشير عن أنس موقوفا وقال ابن جرير : حدثنا أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا شريك عن هلال عن عبد ا بن عكيم قال : ورواه الترمذي وغيره من حديث أنس مرفوعا وقال عبد ا هو ابن مسعود : والذي لا إله غيره ما منكم من أحد إلا سيخلو ا به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول : ابن آدم ماذا غرك مني بي ؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ .

وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله : { فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون } قال : يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة : عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين وقال ابن عيينة عن عملك وعن مالك وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا يونس الحذاء عن أبي حمزة الشيباني عن معاذ بن جبل قال : قال لي رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعه فلا ألفينك يوم القيامة واحد غيرك أسعد بما آتاك ا منك] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : { فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون } ثم قال : { فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان } قال : لا يسألهم هل عملتم كذا ؟ لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول : لم عملتم كذا وكذا ؟